المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 20A شباط 2026
No.20A Feb. 2026

أوضاع اليهود في المشرق الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي (11هـ–656هـ / 632م–1258م): دراسة تاريخية في الأبعاد الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية

م.م.عيسى محمد أحمد
جامعة سامراء

الملخص:

عاش اليهود في المشرق الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر العباسي بوصفهم أهل ذِمّة وهذا الوضع منحهم حرية واسعة في ممارسة شعائرهم الدينية والحفاظ على مؤسساتهم الخاصة، وإدارة شؤونهم الداخلية مثل المحاكم الدينية والتعليم، رغم بعض القيود المفروضة مقارنة بالمسلمين (مثل عدم حمل السلاح أو دفع الزكاة) التي طبّقها الفقه الإسلامي في سياقات زمنية ومكانية مختلفة وبرغم هذا الوضع القانوني الثانوي، لم يكن التعيين في مناصب مرموقة عامة ممنوعًا دومًا؛ فقد شارك بعض اليهود في مجالات الطب، والإدارة، والتجارة، والتدريس، بل إنهم شغلوا أحيانًا مناصب عليا ضمن الإدارة العباسية، بما في ذلك أدوار كالوزراء والكتّاب، وذلك بحسب السياسات المتباينة للخلفاء واحتياجات الدولة في بغداد وغيرها ولعب اليهود دورًا فعّالًا في الحياة الاقتصادية للمشرق الإسلامي؛ فقد برعوا في التجارة المحلية والإقليمية والدولية، والصرافة، والحرف المتخصّصة، والطبّ، واستفادوا من شبكات التجارة الممتدة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ما ساهم في امتلاكهم ثروات وموارد سمحت لهم بدعم مؤسساتهم الدينية والتعليمية وثقافيًا وفكريًا، لم يكن اليهود منعزلين عن التيارات الفكرية السائدة؛ إذ استمرّ تعلّم اللغة العربية لديهم وشاركوا في تبادل الأفكار مع العلماء المسلمين، خاصة في بيئات حضرية مثل بغداد، مما أسهم في نشوء نشاط علمي وتبادل ثقافي، رغم وجود تباينات اجتماعية وقانونية.

الكلمات المفتاحية : (أوضاع -اليهود - المشرق الإسلامي - الفتح الإسلامي)

The situation of the Jews in the Islamic East from the Islamic conquest until the end of the Abbasid era (11 AH – 656 AH / 632 AD – 1258 AD): A historical study in religious, social, economic and political dimensions

Lecturer: Issa Mohammed Ahmed
University of Samarra

Abstract:

Jews in the Islamic East, from the time of the Islamic conquests until the end of the Abbasid era, lived as dhimmīs, This status granted them broad freedom to practice their religious rituals, preserve their communal and religious institutions, and manage their internal affairs, including religious courts and education. These rights existed despite certain legal distinctions that set them apart from Muslims (such as exemption from military service and the obligation to pay jizya instead of zakāt), which were applied differently depending on time and place within Islamic legal practice, Despite this secondary legal status, appointment to prominent public positions was not always prohibited. Some Jews participated in fields such as medicine, administration, trade, and teaching, and at times even held high-ranking posts within the Abbasid administration, including roles as officials and court secretaries. This depended largely on the varying policies of individual caliphs and

the administrative needs of the state in Baghdad and other centers, Economically, Jews played an active and influential role in the life of the Islamic East. They excelled in local, regional, and international trade, money changing, specialized crafts, and medicine. Their involvement in extensive commercial networks linking East and West during the medieval period enabled them to accumulate wealth and resources that supported their religious and educational institutions, Culturally and intellectually, Jews were not isolated from prevailing intellectual currents. They continued to learn and use the Arabic language and participated in scholarly exchange with Muslim intellectuals, especially in urban centers such as Baghdad. This contributed to vibrant scientific and cultural interaction, even though social and legal distinctions between communities remained in place.

Key words: (Conditions - Jews - Islamic East - Islamic Conquest)

خطة البحث:

المبحث الأول : الأوضاع الدينية والاجتماعية لليهود في المشرق الإسلامي

المطلب الأول: الأوضاع الدينية لليهود في المشرق الإسلامي

المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية لليهود في المشرق الإسلامي:

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية والسياسية لليهود في المشرق الإسلامي

المطلب الأول : الأوضاع الاقتصادية لليهود في المشرق الإسلامي

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية لليهود في المشرق الإسلامي

الخاتمة

المبحث الأول : الأوضاع العلمية والدينية والاجتماعية لليهود في المشرق الإسلامي

المطلب الأول: الأوضاع العلمية والدينية لليهود في المشرق الإسلامي:

تمتع اليهود في الأراضي الإسلامية بشرق العالم الإسلامي بحرية ممارسة شعائرهم الدينية والحفاظ على مؤسساتهم التعليمية والدينية باعتبارهم من أهل الذمة وحظي اليهود بحماية مقدساتهم ومعابدهم واحترام عاداتهم الدينية وفقًا لمبادئ الشريعة الإسلامية اذ أن الحكام المسلمين اتبعوا مبدأ الوصاية في تعاملهم مع المقدسات غير الإسلامية؛ فلم يكتفوا بالسماح لليهود (والمسيحيين) بزيارة أماكنهم المقدسة، بل قاموا أيضًا بحماية تلك الأماكن وصيانة ممتلكاتهم الدينية فقد ضمن الخلفاء والسلاطين حق اليهود في الحج إلى المواقع المقدسة في القدس وغيرها، وحماية معابدهم ومقابرهم وعدم التعدي عليها ولم يكن سلطان المسلمين على المدن المقدسة مبرّرًا لانتهاك أو مصادرة أملاك اليهود الدينية، حتى في أوقات الحروب على سبيل المثال، بعدما فتح الخليفة عمر بن الخطاب القدس في القرن السابع، أعاد لليهود حقَّهم في الإقامة بالمدينة وممارسة عباداتهم هناك، بعد أن كان البيزنطيون يمنعونهم من ذلك (سوسة, 2000: 159).

في ظل هذا المناخ المتسامح نسبيًّا، ازدهرت الحياة العلمية اليهودية شهدت مراكز التعليم اليهودي التقليدية في بابل نهضة كبرى تحت الحكم الإسلامي وأن بغداد عاصمة الخلافة العباسية التي تأسست عام 762م سرعان

ما أصبحت مركزًا عالميًّا للتعليم اليهودي والقيادة الدينية استقطبت بغداد عددًا كبيرًا من السكان اليهود نظرًا لقربها من أكاديميتين تلموديتين عريقتين في سورا وبومبيديتا جنوب العراق هناك أسس علماء اليهود اليشيفوت (المدارس التلمودية الكبرى) التي واصلت نقاش وتدريس وتطوير التلمود في ظل رعاية وتساهل نسبي من الخلفاء بحلول القرن التاسع الميلادي، كانت بغداد تضم هذه الأكاديميات على مقربة من بيت الحكمة الشهير؛ إذ تجاورت مجالس العلم الإسلامية مع حلقات الدراسة اليهودية في مشهد حضاري فريد (عليوي, 2022: 187).

أن الخليفة المنصور حين بنى بغداد استعان بعالم فلك يهودي لتخطيط المدينة واختيار ساعة مباركة لبدء بنائها، مما يعكس مدى اندماج بعض العلماء اليهود في البلاط العباسي واحترام الخلفاء للمعرفة بغض النظر عن الدين كما أن العصر العباسي شهد نشاطًا ملحوظًا لحركة ترجمة العلوم إلى العربية، وقد شارك فيها علماء من مختلف الأديان، ومنهم يهود، في نقل المعارف اليونانية والفارسية، مما عزز الحوار الفكري بين اليهود والمسلمين آنذاك(السروري, 2015: 87).

ازدهرت المؤسسات الدينية اليهودية تحت الحكم الإسلامي فقد واصل زعيم الجالية اليهودية في بابل دوره كقائد روحي وزمني لليهود بتأييد من الخلفاء وكانوا يحظون باحترام السلطة، لدرجة أن المصادر تذكر أن رئيس الجالوت كان يدخل بلاط الخليفة أسبوعيًّا لتحيّته كذلك استمر تقليد الجاؤونيم (الحاخامات رؤساء الأكاديميات) الذين استقبلوا أسئلة اليهود من أقطار العالم وأصدروا فتاوى وأجوبة فقهية وانتشرت على امتداد العالم الإسلامي هذه الحركة العلمية النشطة جعلت من العراق مركز الثقل الفكري ليهود العالم في العصور الوسطى فلم يكن مستغربًا أن اللغة العربية أصبحت لغة العلم والأدب ليهود المشرق، يكتبون بها رسائلهم ومؤلفاتهم إلى جانب العبرية، مما سهّل التفاعل الثقافي بينهم وبين محيطهم الإسلامي (عليوي, 2022: 190).

أن اليهود في المشرق الاسلامي بخلاف أوروبا في القرون الوسطى لم يكونوا معزولين تمامًا عن التيارات الفكرية السائدة فقد شارك بعض العلماء اليهود في المناظرات الفكرية واللاهوتية التي كانت تجري في الحضارة الإسلامية، وتأثروا بها مثال ذلك سعدياه جاؤون (882–942م) الذي كتب بعض مؤلفاته بالعربية وتبنّى مصطلحات إسلامية في الشريعة والكلام، حتى أنه استخدم كلمة "شريعة" لوصف القانون الديني اليهودي، وسمّى مقدّم الصلاة إمامًا، واتجه في الصلاة نحو قبلة هكذا يتضح التشابك الفكري؛ فكلٌ من الشريعة الإسلامية اليهودية تطورتا جنبًا إلى جنب في بيئة واحدة، وأحيانًا كانت حلول المسائل الفقهية متشابهة نتيجة هذا التعايش (عبد الرحمن, 2021: 349).

المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية لليهود في المشرق الإسلامي:

انعكست حالة التسامح الديني والازدهار العلمي على الحياة الاجتماعية ليهود المشرق الإسلامي، فجعلتها في عمومها مستقرة وآمنة لقد عاش اليهود في كنف الدولة الإسلامية كغيرهم من الطوائف أهل الذمة بطمأنينة نسبيّة، يتمتعون بحماية القانون الإسلامي لأرواحهم وأموالهم فعلى مدى العصور الوسطى الإسلامية لم تتخذ بحق اليهود سياسة اضطهاد ممنهجة أو قرارات طرد جماعي كالتي شهدتها المجتمعات الأوروبية (حمودي, 2019: 12).

يؤكد الباحثون أنه رغم وقوع بعض حوادث التضييق أو العنف أحيانًا، إلا أنها كانت استثناءات مؤقتة غالبًا ما ترتبط باضطرابات سياسية في عهود ضعف السلطة المركزية، ولم تعبر عن سياسة رسمية دائمة إذ لم تتعرض الجاليات اليهودية في المشرق لمجازر إبادة جماعية أو تهجير قسري شامل، بل استمر وجودهم دون انقطاع في مدن كبرى مثل بغداد ودمشق والقاهرة وطرابلس وغيرها لقرون طويلة ويعلل المؤرخون ذلك بأن المجتمع الإسلامي التقليدي –برغم فرضه قيودًا طبقية على غير المسلمين لم ينزع نحو القضاء عليهم

جسديًا أو تهجيرهم، طالما أدوا واجباتهم كالجزية وبقوا موالين للدولة لذا لم يكن لدى يهود المشرق دافع قوي للهجرة أو الفرار بحثًا عن ملاذ آمن، خلافًا ليهود أوروبا الذين عانوا الويلات من محاكم التفتيش والمذابح والإجلاءات المتكررة (كمال, 1995: 195).

عاش اليهود جنبًا إلى جنب مع المسلمين ضمن النسيج الاجتماعي للمدن الإسلامية غالبًا ما سكنت العائلات اليهودية في أحياء خاصة بهم ضمن المدن الكبرى، يُطلق على أحدها في بغداد مثلًا درب اليهود أو محلّة اليهود، وكان ذلك لتنظيم شؤونهم الذاتية أكثر منه لعزلهم قسريًا؛ إذ لم يكن الانتقال أو السكن خارج الحي اليهودي محظورًا بل كان باختيارهم أحيانًا قرب كنيسهم ومدارسهم ونجد في كتب الرحالة أرقامًا تبيّن كثافة الوجود اليهودي وازدهاره في المدن الشرقية(أبو ذؤيب, 2914: 22).

أما في بغداد فقد كان حجم واستقرار الطائفة اليهودية، إذ قدّر عدد اليهود فيها بنحو 40ألفًا يعيشون بأمان ورغد وأن بغداد احتوت على 28كنيسًا قائمًا و 10مدارس يعجّ بها طلبة العلم وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين المعاصرين يرون في هذا الرقم مبالغة، إلا أنه مؤشر واضح على أن اليهود شكلوا شريحة سكانية معتبرة ومزدهرة في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية طوال قرون فوجود عشرات المعابد والمدارس يدل على الحرية الدينية والاجتماعية التي نعموا بها وعلى الدعم الذي كانت تقدمه القيادة الإسلامية لهم بشكل ضمني للسماح باستمرار مؤسساتهم (الوائلي, 2017: 458).

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية المستقرة أيضًا أن اليهود شاركوا في الحياة العامة ضمن حدود وضعهم كأهل ذمة. فقد عملوا وتعاونوا مع جيرانهم المسلمين في مختلف المهن، وربطتهم علاقات جيرة وتجارة يومية. وتشير بعض الروايات إلى أن اليهود ساهموا أحيانًا في الدفاع المشترك عن مدنهم إبان الغزوات الصليبية فعندما تعرضت بعض مدن الشام لغزو الصليبيين في القرن الثاني عشر، وقف اليهود مع إخوانهم المسلمين يدافعون عن مدنهم ومقدساتهم ,بوصفهم أبناء البلد الواحد على سبيل المثال، يذكر المؤرخون واقعة دفاع اليهود مع المسلمين عن مدينة حيفا عام 1100م عند حصار الصليبيين لها، إذ قاتل اليهود ضمن صفوف الحامية قبل أن تسقط المدينة بأيدي الصليبيين ويتم قتل من فيها ورغم المآسي التي حلت ببعض الجاليات اليهودية على يد الصليبيين، فإن تلك الأحداث وقعت في فترات سيطرة الفرنج، بينما في فترات الحكم الإسلامي كان اليهود آمنين من هذه الفظائع بل إن القائد صلاح الدين الأيوبي بعد انتصاره على الصليبيين سمح لليهود بالعودة إلى القدس والإقامة فيها مجددًا، تقديرًا منه للعلاقة التاريخية والدينية التي تربطهم بالمدينة (ظاهر, 2012: 662).

أصدر الخليفة العباسي هارون الرشيد في أواخر القرن الثامن أمرًا بأن يتميّز اليهود والمسيحيون في اللباس وألا يركبوا الخيل، ثم جدّد الخليفة المتوكل في منتصف القرن التاسع بعض تلك الإجراءات وأضاف تحويل كنيس إلى مسجد .بيد أن هذه التشريعات لم تستمر طويلًا، وسُرعان ما تم تخفيفها أو تجاهلها في عهود لاحقة، إذ نجد أن الخليفة المعتضد بالله (892–902م) استوزر بعض اليهود في ديوانه وسمح بعودتهم لمناصب إدارية، مما يدل على أن التعايش غلب التشدد في نهاية المطاف لذلك ظل اليهود يحظون باحترام جيرانهم المسلمين في كثير من الأحيان، خاصة عندما كانوا بارعين في مجال معين أو مفيدين للمجتمع ككل ووُصِف يهود دمشق في أواخر القرن الخامس عشر مثلًا بأنهم" جميعًا أغنياء ومكرّمون وتجار "ويتمتعون ببيوت جميلة وحدائق، ما يعني مكانة اجتماعية مريحة (عليوي, 2022: 191).

يبدو ان الوضع الاجتماعي ليهود المشرق الإسلامي تميّز بالاستقرار والتماسك الداخلي. حافظ اليهود على تقاليدهم الأسرية والجماعية؛ فكانت لهم مجالسهم لحل النزاعات الداخلية، ومحاكمهم الدينية في مسائل الأحوال الشخصية بإشراف الحاخامات، كما كانت لهم الجمعيات التي تعنى بالفقراء وطلاب العلم وكل هذا جرى في إطار من الحرية النسبية ضمن المجتمع الأكبر هذه الأوضاع الاجتماعية الحسنة نسبيًا بالمقارنة مع

معاناة يهود أوروبا في الفترة نفسها فسرت لماذا لم تحصل هجرات جماعية ليهود المشرق نحو مناطق أخرى؛ بل على العكس، شهدنا قدوم بعض اليهود من الأندلس وأوروبا إلى المشرق طلبًا للأمان أو العلم.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية والسياسية لليهود في المشرق الإسلامي

المطلب الأول : الأوضاع الاقتصادية لليهود في المشرق الإسلامي

تميّزت حياة اليهود الاقتصادية تحت الحكم الإسلامي بالازدهار والحرية المهنية الواسعة. فقد أتاح النظام الإسلامي لليهود كغيرهم من أهل الذمة فرصة الانخراط في شتّى الأنشطة الاقتصادية دون قيود تُذكر، سوى دفع ضريبة الجزية الرمزية سنويًا مقابل الحماية والاعفاء من الخدمة العسكرية وبرع اليهود في العديد من الحِرف والصناعات والتجارات مستفيدين من شبكة علاقاتهم الدولية ومهاراتهم المتوارثة وتشهد مصادر التاريخ الاقتصادي بأن اليهود كانوا روادًا في بعض الصناعات الحرفية الدقيقة في العالم الإسلامي (غرياني, 2009: 603).

فعلى سبيل المثال، اشتهرت عائلات يهودية في صور وأنطاكية ودمشق بصناعة الزجاج النفيس، لا سيما ما عُرف بـ"الزجاج الصوري" الذي كان مطلوبًا لجودته (مجيد, 2008: 124).

كما عمل اليهود في صناعة الأصبغة والنسيج الفاخر، ونقلوا أسرار هذه الحِرف عبر الأجيال .يذكر أحد المؤرخين أن مصنوعات الزجاج والمنسوجات الكتانية التي صنعها اليهود في المشرق كانت من السلع الأساسية التي يتم مبادلتها مقابل الحرير والتوابل القادمة من الشرق الأقصى وقد نبغ اليهود أيضًا في تشغيل مناجم المعادن وصياغة الذهب والفضة، وهي مهن احتاجت مهارة وثقة وكان الحكام يقدرون خبرة الصاغة اليهود في سكّ العملة وزخرفة الحلي (يونس, 2020: 408).

كما انخرط اليهود بفعالية في التجارة المحلية والإقليمية والدولية .فمنذ العصر الأموي ثم العباسي (القرن 8–11م)، توسعت التجارة عبر المحيطات والصحاري انطلاقًا من الموانئ الإسلامية الكبرى كالبصرة وصور وعدن وكجزء من هذه الحركة، شارك التجار اليهود مستفيدين من انتشارهم في المشرق والمغرب في القوافل البحرية والبرية العملاقة التي كان يقودها المسلمون .واشتهرت في التاريخ مجموعة التجّار الرذنية، وهم تجار يهود في أوائل العصر الوسيط، نشطوا في ربط أسواق أوروبا المسيحية بالعالم الإسلامي، متجولين بين الغرب والشرق عبر مسالك التجارة الكبرى لقد غطت شبكاتهم التجارية مناطق شاسعة من الأندلس والمغرب غربًا إلى فارس والهند والصين شرقًا وكانوا ينقلون سلعًا متنوعة، منها المنسوجات الفاخرة والأحجار الكريمة والتوابل الشرقية والحرير الصيني وغيرها، مقابل تصدير منتجات العالم الإسلامي وأوروبا وقد ساهم اليهود في ازدهار طريق الحرير القديم تجاريًا، إذ قاموا بدور الوسطاء الموثوقين بين الحضارات المختلفة مستفيدين من معرفتهم باللغات ومن الحماية النسبية التي وفرها المسلمون للقوافل التجارية في حدود دولتهم (الموسوي, 2018: 173).

اما في داخل الدول الإسلامية، عُرف عن اليهود إتقانهم للأعمال المالية والمصرفية منذ وقت مبكر. فبدءًا من القرن العاشر الميلادي وما بعده، عمل كثير من اليهود صرّافين يقدمون خدمات تحويل العملات وإقراض الأموال للتجار، مما يمكن عدّه شكلًا بدائيًا من الأعمال المصرفية ولم يكن هذا الدور غريبًا؛ فقد منعت الشريعة الإسلامية التعامل بالربا بين المسلمين، لكن ذلك لم يمنع التجار من الحاجة إلى الائتمان فبرز بعض اليهود القادرين على تيسير المعاملات المالية، وأحيانًا بتعاون وترخيص ضمني من الدولة وفي الأندلس الإسلامية، تقلّد يهود مناصب وزارية(القريشي واللامي, 2019: 328) .

كان الطب أيضًا ميدانًا اقتصاديًا وعلميًا برع فيه اليهود، وسمح لهم بالارتقاء اقتصاديًا واجتماعيًا. فقد عمل عدد كبير من الأطباء اليهود في قصور الخلفاء والأمراء نظرًا لعلمهم وخبرتهم الطبية. وتذكر المصادر

أسماء أطباء يهود خدموا البلاط العباسي في بغداد والبلاط الفاطمي في القاهرة(فاضل وعبد الحميد, 2019: 2212).

أن الازدهار الاقتصادي للجاليات اليهودية تجلى أيضًا في قدرتهم على بناء المؤسسات وتمويلها فوجود المعابد في بغداد مثلًا بالعصر العباسي يدل على موارد مالية كافية لبناء وصيانة هذه المعابد أيضًا إنشاء المدارس الدينية واستمرارها كان يتطلب دعمًا ماليًا يأتي من تبرعات الأثرياء اليهود وأحيانًا من منح الحكام وقد تمتع بعض رجال الأعمال اليهود بمكانة اقتصادية تجعلهم مقرضين حتى للحكومات في حالات معينة(الموسوي, 2018: 176).

يبدو ان الأحوال الاقتصادية ليهود المشرق الإسلامي كانت في أفضل صورها تمتّعوا بحرية الكسب والتجارة والانخراط في كافة القطاعات تقريبًا، من الزراعة إلى التجارة البعيدة المدى ولم يكن يُفرض عليهم في معاشهم سوى ما يُفرض على غيرهم من أهل الذمة من ضرائب معقولة وقد انعكست الطمأنينة السياسية والاجتماعية على رخائهم المادي؛ فصارت جالياتهم من أغنى شرائح المجتمع في بعض المدن، وظهر بينهم كبار التجار والأطباء والصيارفة الذين أسهموا في ازدهار اقتصاد تلك الحواضر الإسلامية.

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية لليهود في المشرق الإسلامي:

من الناحية السياسية حاز اليهود في الشرق الإسلامي على قدر كبير من الأمان القانوني والاستقرار، بفضل مكانتهم المميزة كأهل ذمة تحميهم الدولة مقابل الولاء ودفع الجزية لم يُعامَل اليهود عمومًا بعد فتح المسلمين للبلاد معاملة الأعداء أو العبيد، بل اعتُبروا رعايا تحت الحماية ويعود ذلك الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب والذي نظّم علاقة المسلمين بأهل الكتاب في بلاد الشام، ونصّ على حفظ كنائسهم وبيعهم وأنفسهم وفي معظم فترات التاريخ الإسلامي، لم يتعرض اليهود لسوء معاملة منهجي من قِبل السلطة ولا عامة المسلمين على العكس، نالوا احترام الكثير من القادة والعلماء المسلمين، وخاصة عندما برع اليهود في مجالات العلم والإدارة فالتاريخ الإسلامي يذكر بإجلال بعض الشخصيات اليهودية التي خدمت بلاط الخلفاء أو السلاطين بإخلاص، فحظيت بالحظوة والتكريم (الدباغ, 2018: 27).

وعلى مستوى المشاركة السياسية العامة، ورغم أن اليهود لم يدخلوا الجيش الإسلامي نظرًا لإعفائهم من الخدمة (مقابل الجزية)، إلا أنهم كانوا مواطنين موالين للدولة .فخلال الفتن والحروب، ندر أن انحاز اليهود لغير جانب حكامهم المسلمين وعندما غزت قوى خارجية بلاد المسلمين، وقف اليهود في صف إخوتهم في الوطن. وقد سبق ذكر مشاركتهم في صد الصليبيين في الشام وكذلك تشير سجلات الفتح الإسلامي الأولى أن بعض اليهود تعاونوا مع الجيوش الإسلامية عند فتح الأندلس، ورحبوا بحكم المسلمين بعد اضطهاد القوط لهم .هذا الولاء والثقة المتبادلة جعلت كثيرًا من الخلفاء ينظرون لليهود باعتبارهم جزءًا من رعايا الدولة الجديرين بالحماية والإنصاف (عباس, 2012: 869).

بطبيعة الحال، كان هناك إطار قانوني يحدد وضع اليهود السياسي وهو إطار أهل الذمة .بموجب هذا الإطار، كان على اليهود الالتزام بعدة ضوابط تشريعية تميزهم عن المسلمين في بعض الجوانب دون أن تخل بحقهم في الحياة الكريمة من هذه الضوابط ألا يتولوا المناصب السيادية العليا (كقيادة الجيوش أو الولايات)، وألا يُظهروا شعائرهم الدينية بصورة تُسيء لعقيدة الأغلبية، والتزامهم بلباس مخصوص أو علامات معينة في بعض العهود, لم يُمنع اليهود من التواصل التجاري أو الثقافي مع المسلمين، ولا فُرض عليهم حظر مهني شامل، ولم يكونوا معرضين لتهمة القتل الشعائري أو ما شابه من الاتهامات الخرافية التي تكررت في الغرب المسيحي كذلك لم تكن هناك عقيدة تكفيرية تستهدف إبادة اليهود، فالإسلام يعترف بديانتهم كدين سماوي في الأصل بالتالي، سيطرت روح التسامح والتعايش على سياسة معظم الحكام المسلمين تجاه اليهود، تنفيذًا لقول

النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)" : من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة " (صحيح البخاري :3166). وامتثالًا لقواعد الشريعة في حماية المعاهدين (الزين, 1989: 224).

تمكن اليهود من الاحتفاظ بكيان سياسي ذاتي مصغر داخل الدولة، تمثل في وجود القيادات المجتمعية اليهودية المعترف بها رسميًا ففي العراق، استمر منصب رأس الجالوت طيلة العصر العباسي بوصفه زعيم اليهود ويرجع بنسبه إلى آل داود حسب التقاليد وكان رأس الجالوت يُعيَّن بموافقة الخليفة أحيانًا، ويُمنح امتياز حمل الخاتم والخلعة بما يشبه الاعتراف الشرفي وتذكر روايات أن رأس الجالوت في بغداد كانت له حاشية وجلالة، حتى أن بعضهم شبهه بالأمير بل إن رحّالة يهوديًا في القرن الثاني عشر وصف رئيس الأكاديمية اليهودية في بغداد بأنه يلبس الحرير والذهب كالأمير، وله خدم يجلدون من يخل بأوامره، والناس تهابه هذه الرواية قد تكون مُبالغًا فيها، لكنها تعطي لمحة عن المكانة الاجتماعية-السياسية لبعض زعماء اليهود تحت ظل الخلافة كما أن سلاطين آخرين خارج بغداد اتخذوا إجراءات مشابهة؛ فمثلًا سلطان المماليك في مصر عيّن نجيدًا (نقيبًا) لليهود يتولى شؤونهم ويمثلهم أمام الدولة(عبد الرحمن, 2021: 360).

أن كثيرًا من العلماء المسلمين أنفسهم أبدوا احترامًا لليهود كشعب كتاب. فمثلًا، في العهد المملوكي أمر السلطان الظاهر بيبرس بإلغاء الجزية عن اليهود لفترة وجيزة تقديرًا لإسهاماتهم في الاقتصاد وفي الأندلس، كتب الفيلسوف المسلم ابن رشد عن الفلاسفة والعلماء اليهود باحترام، وتأثر ببعض آرائهم وإن اليهود لم يُمنعوا من الإسهام في الحياة الفكرية والسياسية للدولة ضمن حدود ولائهم فيكفي أن بغداد العاصمة احتضنت عددًا من كبار العلماء اليهود ضمن بيت الحكمة وخارجه، وكانت تجمعهم نقاشات مع نظرائهم المسلمين وفي بلاط الخليفة هارون الرشيد (786–809م) تبوأ بعض المثقفين اليهود مكانة في مجال الترجمة والطب، وفي العصر الفاطمي بمصر، نجد الطبيب والفيلسوف موسى بن ميمون مقرّبًا من السلطان صلاح الدين وابنه الأفضل، بحيث أصدر له السلطان تفويضًا ليصبح رئيسًا للطائفة اليهودية في مصر مع صلاحيات قضائية على اليهود هكذا يتبين أن السياسة الإسلامية تجاه اليهود اتسمت بالمرونة؛ فمتى ما كان اليهود نافعين للدولة وملتزمين بالقانون، نعموا بالرعاية والإنصاف، ومتى ما خرج فردٌ منهم عن الطاعة عُوقب لوحده دون أن يُلحق الأذى بالجماعة كلها في معظم الأحوال (فيشل, 2005: 159).

لم تخلُ التاريخ الإسلامي تمامًا من فترات عصيبة انعكست سلبًا على اليهود سياسيًا فعند غزو المغول لبغداد عام 1258م وما تبعه من فوضى، تعرضت الجالية اليهودية لمحنة كبيرة كما سائر السكان، وقُتل كثيرون منهم وفي مراحل لاحقة، خصوصًا قبيل العصر الحديث، بدأت بعض السياسات التمييزية تظهر بضغط من التعصب أو ظروف اقتصادية (مثل فرض لبس علامات معينة أو مضايقات في بعض المدن)، لكن ذلك كان أقرب إلى الاستثناء في سياق امتد لأكثر من ألف عام. وبشكل عام، استطاع اليهود عبر العصور الإسلامية الحفاظ على وجودهم وازدهارهم تحت أنظمة سياسية مختلفة من الخلافة الراشدة إلى الأموية فالعباسية فالعثمانية لأن الأساس القانوني (نظام الذمة) ضمن لهم العقد الاجتماعي الذي يوفر الأمن مقابل الواجب، وهو ما التزمت به أغلب الدول الإسلامية بدرجات رضى متفاوتة (يوسف واحمد, 2022: 103).

الخاتمة

يُظهر التاريخ أن وضع اليهود في المشرق الإسلامي خلال الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر العباسي (11 هـ – 656 هـ / 632 – 1258 م) كان محوريًا لفهم التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في سياق حضاري طويل الأمد فقد أسّس نظام الذمة إطارًا قانونيًا واجتماعيًا لتنظيم علاقة الدولة الإسلامية مع اليهود، يقوم على مبدأ الحماية مقابل الالتزام والشروط القانونية بموجب هذا الإطار، مُنح اليهود حرية ممارسة شعائرهم الدينية، والحفاظ على مؤسساتهم التعليمية والدينية.

إضافة إلى ذلك، في كثير من مراحل العصر العباسي، شهدت السياسة الرسمية احترامًا لحقوق اليهود وتشجيعًا لمشاركتهم الاقتصادية والثقافية في المجتمع الإسلامي فقد شارك اليهود في مجالات الطب، والإدارة، والتجارة، والمالية، والصناعات الحرفية المتخصّصة، والتعليم، والترجمة، وهو ما أسهم في دفع عجلة الحياة الاقتصادية والفكرية في الحواضر الإسلامية الكبرى، خاصة بغداد التي كانت مركز التبادل العلمي والثقافي في ذلك العصر كما أسهم اليهود في حركة ترجمة العلوم والمعارف من لغات متعددة إلى العربية، ما جعلهم جزءًا من نسيج التفاعل الفكري الحضاري. شارك كثير من العلماء اليهود في مناظرات فكرية ولاهوتية مع نظرائهم المسلمين، مستخدمين اللغة العربية لغةً للعلم والتداول الثقافي، وهو ما يدل على تداخل معرفي وثقافي عميق لم يقتصر على التعاون السطحي بل امتد إلى تبادل وتفاعل معرفي معمّق.

من الناحية الاجتماعية، لم يكن اليهود معزولين في مجتمعاتهم فحسب، بل كانوا جزءًا من النسيج الحضري الحيوي في المدن الإسلامية، حيث عاشوا جنبًا إلى جنب مع المسلمين جنبًا إلى جنب في الأسواق، وفي الورش الصناعية، وفي الحواضر التعليمية هذا الاندماج الاجتماعي لم يلغ وجود الهوية الخاصة باليهود، لكنه أتاح لهم التفاعل الحيوي مع المحيط، بما عزّز من الاستقرار الاجتماعي النسبي الذي امتد لقرون طويلة. وإذا ما قورن هذا الواقع بتجارب اليهود في أوروبا خلال الفترة نفسها.

المصادر:

1-أبو ذؤيب, إسرائيل ولفنسون, (2014), تاريخ اليهود في بلاد العرب, مطبعة الاعتماد, القاهرة.
2-حمودي, محمد الصديق (2019), أحوال اليهود في المشرق الإسلامي, جامعة المسيلة, الجزائر.
3-الدباغ, محمد نزار, (2018), الموصل ونينوى في كتبات الرحالة اليهودي الألماني بتاحيا الراتسبوني, مجلة دراسات موصلية, العدد48.
4-الزين, حسين, (1989), الأوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الإسلامية, دار الفكر الحديث, بيروت.
5-السروري, محمد عبدة (2015), اهداف نشأة ا=مدينة بغداد في عهد الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور, مجلة دراسات تاريخية, العدد59.
6-سوسه, احمد ملاح (2000), التاريخ القديم ليهود العراق, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, عمان.
7-ظاهر, عباس فرحان (2012), يهود العراق ونشاطهم الاجتماعي والثقافي, المؤتمر العلمي الخامس, كلية التربية, جامعة بغداد.
8-عبد الرحمن, عصام وهب, (2021), حالة اليهود الفكرية والثقافية في العصر العباسي, مجلة كلية الاداب, جامعة عين شمس, القاهرة.
9-عليوي, حميد مجيد, (2022), الحياة العلمية في مدينة سورا في العصر العباسي, مجلة العميد, العدد49.
10-غرياني, بطل شعبان (2009), دور اليهود في التجارة خلال العصر الإسلامي, كلية الدراسات الافريقية العليا, جامعة القاهرة.
11-فاضل, اسراء و عبد الحميد, عفاف, (2019), اهل الذمة واسهاماتهم الطبية في دولة المماليك, مجلة كلية التربية, العدد43, جامعة بابل.
12-فيشل, وولتر, (2005), يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للدول الإسلامية, دار التكوين للنشر, القاهرة,
13-القريشي, ناصر حسين, (2019), دور العراق التجاري مع دول المشرق في العصر العباسي, مجلة دراسات في التاريخ, العدد71.
14-كمال, مصطفى (1995), اليهود في العالم العربي, دار القلم, دمشق.
15-مجيد, رعد مطر (2008), جمالية فن الزجاج المعشق في العصور الوسطى, المكتبة الاكاديمية, القاهرة.

16-الموسوي, عباس فرحان (2018), النشاط الاقتصادي ليهود العراق 1921-1952, مجلة لارك للفلسفة, العدد28.
17-الوائلي, علي حسين (2017), دور اليهود في التحديث في العراق منتصف القرن التاسع عشر, مجلة أبحاث ميسان, العدد13.
18-يوسف, توفيق, واحمد, خطاب, (2022), اليهود ودورهم الحضاري في ظل حكم المغول, مجلة العلوم الإنسانية, العدد10, جامعة زاخو.
19-يونس, سوسن بهجت, (2020), الصناعة واثرها في بلاد المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي, مجلة كلية العلوم الإسلامية, العدد63.